الشباب والإلحاد، دراسة لـ:

تجليات الإلحاد الجديد
في واقع الشباب المسلم

للأستاذة الباحثة:
كريمـــــــة دوز

2020

الشباب والإلحاد

(دراسة لتجليات الإلحاد الجديد في واقع الشباب المسلم)

كريمة دوز

ملخص:

ترمي هذه الورقة إلى تسليط الضوء على ظاهرة الإلحاد في الأوساط الشبابية، خصوصا تلك التي جعلت من الو اقع الافتراضي عالما لها، غير أننا في بادئ الأمر سنبحث في سياقات الإلحاد الجديد وسماته، مبرزين التطور الحاصل في مفهوم الإلحاد بين الماضي والحاضر، وبين الو اقع الإسلامي والآخر الغربي، دون أن نغفل عن أثر الخطاب الإلحادي بوسمه الجديد على و اقع شبابنا المتشكك، وندخل في دراسة لهوية الملحد الافتراضي من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، التي باتت ميدان حرب فكرية بين مختلف الرؤى والتوجهات، فهذه الورقة تسعى لكشف و اقع لم يعد مخفيا ولا مستورا، دون تهويل ولا تهوين من موجة الإلحاد الجديد.

كلمات مفتاحية:

الإلحاد– الإلحاد الجديد– وسائل التواصل الاجتماعي– الهوية– فرسان الإلحاد– الملحدون العرب–الشباب

Abstract :

This paper aims to highlight the phenomenon of atheism in youth circles, especially those that have taken hypothetical realm as a world for themselves. But we will first discuss the contexts and features of new atheism, highlighting the development in the concept of atheism between the past and the present, and between the Islamic case and the Western one, without forgetting the effect of the atheist discourse with its new features on the reality of our skeptical youth. We will study the identity of the hypothetical atheists through social media, which has become a field of intellectual war between different visions and attitudes. This paper seeks to reveal a fact that is no longer hidden, without Exaggeration or underestimation of the new wave of atheism.

Keywords :

Atheism; New atheism; identity, social media; Arab atheists; youth.

مقدمة:

كان الدين ولا يزال محط اهتمام الإنسانية باختلاف سياقاتها الفكرية وتعدد مشاربها الفلسفية، ففكرة الألوهية ظلت قائمة وعابرة للعصور والحضارات، فحتى وإن رأى البعض خفوت وازع الدين في بعض الحقب التاريخية، وظن أن الإنسانية ماضية نحو الإلحاد، وبدأ يتنبأ باضمحلال الدين وتلاشيه كما حصل مع الأنثروبولوجي الألماني ديتريش بون هوفر (Dietrich Bonhoeffer) **المعايش للنازية[1]، فإن الدين بعث من جديد، وظل يطارد الفكر البشري بامتداد تاريخه، فهو كما يقول أرلوند توينبي" عنصر أساسي في الحياة الإنسانية، حيث لا يمكن أبدا تجاهله أو كبته في الوقت نفسه لفترة طويلة"[2].**

لكن رغم الحضور القوي للدين في الحضارات الإنسانية عموما، والحضارة الإسلامية خصوصا، نجد أنفسنا في الفكر العربي المعاصر أمام الإلحاد كمعطى تاريخي حادث، له ظروفه وملابساته وسياقاتها التاريخية، فالإلحاد الجديد بحمولته الغربية، هو حالة طارئة في الساحة الفكرية الإسلامية، ساهمت الثورة العلمية وتجلياتها على المجتمعات الغربية في تلميع صورته عند فئة من الشباب العربي، ولم تكن لنواقيس هذا الإلحاد أن تدق عقول الشباب لولا وسائل التواصل الحديثة، التي يمكن اعتبارها وسيطا معاصرا نقل الأفكار الإلحادية بصبغتها الغربية من بيئتها الأم إلى بيئتنا العربية، لهذا جاءت هذه الورقة الموسومة بـ" الشباب والإلحاد" لدراسة تجليات الإلحاد الجديد على واقع الشباب المسلم، معتمدين في ذلك منهجا تحليليا مقارنا، نقرب من خلاله سياقات الإلحاد بين الفكر الإسلامي والآخر الغربي، ونحلل فيه بواعث الإلحاد عند الشباب المسلم، دون أن نغفل عن عرض ظاهرة الإلحاد في الوسائط الاجتماعية، التي أضحت من المؤثرات الفكرية في واقعنا المعاصر.

أما هيكل الورقة فهو كالآتي:

أولا: الإلحاد (لمحة تعريفية)

ثانيا: الإلحاد الجديد (أصولية جديدة)

ثالثا: الشباب المسلم والإلحاد (نظرة في بواعث الإلحاد)

رابعا: الملحدون العرب والعالم الجديد الشجاع

---

[1]) قال عن مستقبل الدين:" إننا نمضي تجاه زمن اللادين على الإطلاق، فالناس على ما هم عليه الآن لا يمكن أن يكونوا متدينين بعد الآن"

"we are proceeding towards a time of no religion at all: men as they are now simply cannot be religious anymore"(New directions in theology today, Roger L. Shinn, the Westminster press, Philadelphia-USA, vol (7), p(138)

[2] "Religion is an essential element in human life which cannot ever be ignored or repressed for very long time", Ibidm, p(138)

أولا: الإلحاد (لمحة تعريفية)

البحث في المفاهيم والماهيات ليس من الثانويات التي يمكن تجاوزها للخوض في ثنايا المصطلح وقضاياها، بل إن البحث في هذه الأخيرة لا يتم إلا بسبر المصطلح ومعرفة سياقاته التاريخية، خصوصا إذا كانت الكلمة من المصطلحات التي اشتهبت الأفهام في استخداماتها بين القديم والحديث، فأضحى التصور الحديث لماهية المصطلح طاغيا على التصور القديم، بل ومهيمنا عليه في أذهان الكثيرين[3]، لذلك رأى عبد الوهاب المسيري أن " المصطلحات ليست بريئة ولا محايدة، بل هي تعبر عن رؤى متكاملة ونماذج إدراكية ومعرفية، ومن ثم لابد من أن يقوم الباحث بعملية تفكيك للمصطلح ليصل إلى المفهوم الكامن وراءه"[4].

ونحن في لمحتنا التعريفية هذه سنمضي ليس لتفكيك مصطلح "الإلحاد"، وإنما لإلقاء نظرة كلية على ماهيته بين كل من السياق الإسلامي والآخر الغربي، والتغيرات الطارئة على مفهومه بين الماضي والحاضر، لإزالة اللبس الحاصل في استعمالاته وإطلاقاته بين المسطور في تراثنا العقائدي والمعمول به في الفكر المعاصر.

1-مفهوم الالحاد في السياق الاسلامي

الإلحاد في اللغة، مشتق من الفعل الثلاثي "لَحَدَ"، التي تعني مال وعدل، جاء في لسان العرب " لَحَدت له، وَلَحَدت له ولَحَد إلى الشيء يلحد والتحد: مال"[5]، و" ألحد: مال وعدل، وماری وجادل"[6]، ويقال: " ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان"[7]، و"الملحد العادل عن الحق، والمدخل فيه ما ليس فيه، ويقال: قد ألحد في الدين ولَحَدَ، أي حاد عنه"[8].

وبناء على جملة ما سبق، يظهر لنا أن الإلحاد يأتي في اللغة للتعبير عن الميل عن القصد والعدول عن الشيء.

والمتصفح للقرآن الكريم يجد أن كلمة إلحاد وردت في مواضع متفرقة منه، ولعل ثلاث آيات من تلك التي ضمت فعل " ألحد" هي التي تصب في مجرى حديثنا[9]، قال الحق جل وعلا: ﴿*وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى*

---

[3] ذهب البعض إلى اعتبار مفهوم الإلحاد في السياق الإسلامي مطابقا له في السياق الغربي، واعتبروا أن من نعت بالإلحاد والزندقة في التراث الإسلامي، كان لا يؤمن بالله بالضرورة أو لا يعتقد بوجود إله، والباحث المتمعن في كتب التراث يعلم أن الإلحاد كما سنرى بين فقرات هذه اللمحة التعريفية كان يطلق على كل من أنكر أصلا من أصول الدين أو تأول في كتاب الله تعالى بإخراج النص عن مراد الشارع سبحانه.

[4] العالم من منظور غربي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، (2001)، ص(143)

[5] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت-لبنان، (بدون طبعة -بدون تاريخ)، باب الدال، ج3، ص(388)

[6] القاموس المحيط، محمد الفيروز آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، (1426 – 2005)، باب اللام، ص(317)

[7] معجم مقاييس اللغة، ابن فراس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م)، باب (اللام والحاء وما يثلثهما)، ج5، ص(236)

[8] تاج العروس، محمد الزبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة الكويت، الكويت، (1385هـ-1965م)، باب الدال، ج9، ص(135)

[9] وردت الكلمة في موضعين آخرين غير المواضع الثلاثة التي سنسوقها في حديثنا عن الإلحاد، الأول في سورة النحل الآية 103 (*وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ*)، ومعنى يلحدون في هذه الآية ينسبون، أي أن المشركين ينسبون تعليم محمد ρ إلى الكهان وهؤلاء لسانهم أعجمي غير عربي (ينظر: تفسير السعدي، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: جمال نصر، دار العقيدة، الإسكندرية-مصر، (2007م-1428هـ)، ج1، ص(713)، أما الثاني ففي سورة الكهف الآية 27 (*وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا*) أي موضع التجاء، ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ص(438)

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[10]، والمقصود بالإلحاد في هذه الآية الكريمة الميل وترك القصد، حيث ارتبط الإلحاد فيها بالأسماء والصفات، أي " الميل بالأسماء عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراده الله ولا رسوله ρ"[11]، والإلحاد في أسمائه على ضربين: " أحدهما أن يوصف بما لا يصح وصفه به، الثاني: أن يَتَأول أوصافه على ما لا يليق به"[12].

أما الموضع الثاني ففي قوله تعالى: ﴿*إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا*﴾[13]، فيلحدون في هذا الموضع جاءت للدلالة على الميل عن الحق والعناد والتكذيب في آيات الله، قال القرطبي في معنى "يلحدون": " يميلون عن الحق في أدلتنا (...)، ونُقل عن مجاهد: قوله تعالى : (يلحدون في آياتنا) يكذبون في آياتنا، أي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء، وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه"[14].

وفي موضع ثالث وردت الكلمة للدلالة على إلحاد خاص وهو الإلحاد في بيت الله الحرام بمعصيته سبحانه والظلم في رحاب بيته العتيق، قال سبحانه: ﴿*وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*﴾[15]، أي *" الميل بالظلم، واختلف في الظلم، فروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) قال: الشرك، وقال عطاء: الشرك والقتل"*[16].**

وعلى العموم فإن الإلحاد والظلم في بيت الله الحرام كما يقول القرطبي: " يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى نية السّيِّئة فيه، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة، هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم"[17].

فالمدقق في الآيات السالفة الذكر ينكشف له أنها لم تأتي للدلالة على الإلحاد بمفهومه المعاصر، وإنما لبيان بعض الانحرافات العقدية كتعطيل أسماء الله وصفاته ونفي بعضها، و الميل في تأويل القرآن الكريم عن المعنى الذي أراده الشارع، أما إنكار الخالق سبحانه فعبر عنه القرآن الكريم بلفظ الدهرية[18]، وهم من

---

[10] سورة (الأعراف:180)

[11] تفسير السعدي، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: جمال نصر، دار العقيدة، الاسكندرية-مصر، الطبعة الأولى (2007)، ج1، ص(482)

[12] مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق-سوريا، الطبعة الرابعة، (1430هـ-2009م)، ص(438)

[13] سورة (فصلت:40)

[14] تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (هـ1427-2006م) ج18، ص(426-427)

[15] سورة (الحج:25)

[16] المصدر السابق، ج14، ص(355)

[17] نفس المصدر، ج14، ص(357)

[18] ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، الطبعة الثالثة، (2000م)، ص(90-350)

طوائف العرب الذين جحدوا الصانع المدبر، حيث قال الحق سبحانه فيهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[19] فكان شعارهم ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وسماء تقلع وسحاب تقشع وهواء تقمع، "وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان وكذلك يكون أبدا، وهؤلاء هم الزنادقة"[20]، وفي موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم " يسمون ملاحدة أيضا"[21]، وقد ذهب غير واحد من المهتمين بملف الإلحاد في الفكر المعاصر إلى اعتبار الدهريين بوصفهم القديم ينطبق على الملاحدة الجدد، "فالدهرية هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية"[22].

ولما كان القرنان الثالث والرابع الهجريين أوج الحضارة الإسلامية ثقافة وفكرا، فإنهما كانا أكثر العصور سجالا وملاجحة عقائدية بين العلماء والفرق، انبثق على إثرهما مصطلح الزندقة كتعبير عن كل صاحب بدعة أو إلحاد [23]، وأضحى لفظ زنديق أو ملحد يطلق على كل من انحرف في العقيدة، كمنكري النبوات وأصحاب الاتحاد والحلول، والفلاسفة القائلين بقدم العالم [24]، والفرق الباطنية [25]، وغيرهم ممن أول أو عطل أو أنكر أصلا من أصول الدين وإن لم ينكر الإله، أو يقل بانتفاء وجوده.

فالإلحاد في التاريخ العقائدي الإسلامي يختلف في إطلاقته عن الإلحاد في مفهومه المعاصر، فإن كان الإلحاد قديما لا يعني بالضرورة نفي وجود الخالق سبحانه، فإنه في عصرنا إنكار لوجود الله تعالى، وما دون ذلك فهو تابع له، لتتراجع الانحرافات العقدية الأخرى التي كان يشملها الاصطلاح وتخرج من عباءته [26]، ويبقى الإلحاد المعاصر في مجال التداول الإسلامي تعبيرا صريحا عن عدم الإيمان بوجود إله.

2-مفهوم الإلحاد في السياق الغربي

لم يكن مفهوم الإلحاد atheism في السياق الغربي مشابها لمفهومه في السياق الإسلامي، بل إن من نعت في الدوائر المعرفية الغربية بالإلحاد كان منكرا فعليا لوجود الخالق سبحانه [27]، لذلك نرى أن مصطلحatheism

---

19) سورة (الجاثية: 24)

20) موسوعة مصطلحات الفلسفة، جيرار جيهامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (1998م)، ص(311)

21) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ترجمة: تحقيق: علي وجروج، عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (1996م)، ج2، ص(1639)

22) خرافة الإلحاد، عمرو الشريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، (2014م-1435هـ)، ص(376)،

23) ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمان بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، (1980م)، ص(28)

24) في رد أبي حامد الغزالي على الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة كثيرا ما يستعمل كلمة ملاحدة للدلالة على ما سقط فيه الفلاسفة من انحرافات عقدية في باب الإلهيات حيث قال: " وليتبين هؤلاء الملاحدة تقليدا (أي الفلاسفة)، اتفاق كل مرموق من الأوائل والأواخر على الإيمان بالله واليوم الآخر" تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة العاشرة، (2016م)، ص75

25) يقول ابن تيمية في رده على ما ذهب إليه الباطنية من إلحاد في أسماء الله وصفاته: (هؤلاء الباطنية هم الملاحدة الذين أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى) مجموع الفتاوى، ج3، ص(30)

26) ينظر: ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، مركز تكوين، لندن-بريطانيا، الطبعة الثانية، (1435هـ-2014م)، ص(19)

27) ينظر: المرجع نفسه، ص (18)

في تركيبته اللغوية مشتق من الأدبيات اليونانية "atheos" فحرف "a" يعني عادة "لا" "No" أو دون "without" و "theos" تعني "إله"[28]، لتكون الترجمة الحرفية لكلمة atheos بدون إله أو لا إله.

وعليه فكلمة a-theism على حد تعبير هينري سميث H. Smith تعني أدبيا، "دون إيمان" " without theism"، أو " دون إيمان ألوهي" "without theistic belief"، فالذي لا يؤمن بوجود إله أو كائن فوقطبيعي يسمى بالمعنى الضيق للكلمة ملحدا atheist [29].

وقد رأى البعض أن الإلحاد هو الإيمان بأنه ليس ثمة إله أو آلهة [30]، غير أن هذا المفهوم لا ينفذ إلى كنه الإلحاد، فهو في صورته الأساسية حسب هنري سميث، ليس إيمانا، إنه غياب الإيمان، فالملحد في الأصل ليس بالشخص الذي يؤمن بأن الإله غير موجود، إنه في الواقع لا يؤمن بوجود إله[31]، ويجد أن الدين ليس جزء مهما في حياته[32].

ويبقى الجزم بعدم وجود إله أعلى درجات الإلحاد، وأشد المواقف إنكارا للإله، وهو بذلك إلحاد صلب أو إيجابي ، في مقابل الإلحاد السلبي أو اللاأدرية "Agnosticism" وهو مصطلح صاغه الفيلسوف وعالم الأحياء البريطاني طوماس هكسلي "Thomas Huxley" سنة (1869) [33] تعبيرا عن موقفه تجاه الإلهيات، حيث رأى أنه "لا يوجد دليل كاف للبرهنة على الإيمان بإله، لذلك يجب على المرء أن يعلق حكمه في القضية عند مناقشة ما إذا كان وجود الإله لا سبيل لمعرفته من الأساس أو مجهول ببساطة في الوقت الحاضر"[34]، فاللاأدرية إذن هي التوقف عن الإيمان أو عدم الإيمان بإله، فاللاأدري يدعي أننا لا نستطيع معرفة ما إذا كان الإله موجودا، والرأي العقلاني الوحيد في نظره هو إرجاء الحكم، فهو يذهب أبعد من الملحد والمؤله معا، في تأكيد أو إنكار وجود إله على التوالي، ويرى أننا لا نملك الأدلة الكافية أو الحجج لإثبات أحد الموقفين[35].

وبعد الموقف السلبي للاأدرية ورفعها شعار لاأدري كفلسفة للإجابة عن سؤال هل الله موجود؟ تأتي الربوبية "Deism" كموقف عقدي "يؤمن صاحبه بوجود خالق لهذا الكون، لكنه ينكر صلة هذا الخالق بهذا الكون عبر الوحي والرسالة"[36]، فالإله في التصور الربوبي بعدما خلق الكون تركه يمضي بطريقة ميكانيكية، دون تدخل منه.

---

[28] The oxford hand book of atheism, Stephen Ballivant, Michael Ruse, E[1ER](2013), oxford university press, p(11), بتصرف

[29] Atheism : the case Against God, George H. Smith, Prometheus books, New YORK-USA, 1989, p(7)

[30] The oxford hand book of atheism, Stephen Ballivant, Michael Ruse, p(11)

[31] Atheism : the case Against god, George H. Smith, p(7)

[32] The oxford hand book of atheism, Stephen Ballivant, Michael Ruse, p(12)

[33] Atheism : the case Against god, George H. Smith, P(8)

[34] Ibid, p(11)

[35] Atheism : a very short introduction, Julian Baggini, Oxford university press, New York-USA, (2003), p(4)

[36] ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، ص(20)

فهذه المواقف الثلاثة تشكل الإلحاد بمفهومه العام، وتعتبر الأساس الطبيعي له، وما دعوى استحالة وجود إله إلا درجة من درجاته يرتقي فيها الملحد إلى الإلحاد المثالي [37] أو الخالص "perfect athéism" الجازم بنفي الإله، بله الوجود الميتافيزيقي أو الغيبي، فالملحد إذن قد يكون منكرا للإله، أو لاأدريا، أو ربوبيا، وإن اشتهر إطلاقه على كل منكر لوجود خالق مدبر لهذا الكون.

ثانيا: الإلحاد الجديد (أصولية جديدة)

منذ عصر النهضة وما تلاها من تطورات علمية، واقتصادية، واجتماعية، وانطلاقا من القرن الثامن عشر بدأ الدين في صورته المسيحية ينزاح رويدا رويدا عن الساحة الغربية، ويفقد أساسه، خصوصا بين العقلانيين[38]، الذين أضحى العقل عندهم السبيل الوحيد للمعرفة، لينطلق التنوير من ثقة غير مسبوقة بالعقل البشري[39]، حيث رأت الحركة العقلانية الأوربية أن المنهج العقلي والعلمي يجب أن يطبق على كل مظاهر حياة الإنسان[40]،غير أن فكرة الإلحاد الخالص كانت إلى حد ما حسب كارن أرمسترونج مستهجنة، فمعظم فلاسفة التنوير اعتقدوا ضمنيا بوجود إله[41]، و"كان الإلحاد كما نعرفه اليوم مازال غير متصور"[42].

لكن مع نهاية القرن الثامن عشر ميلادي سينسلخ الغرب تماما من الدين، لتبدأ "عملية النزعة الغربية ومعها العقيدة الدنيوية التي أعلنت استقلالها عن الله"[43]، وفي القرن التاسع عشر ميلادي سيصبح الإلحاد قوة حقيقية، مع ظهور عدد من المعادين للاهوتيين على المسرح، من بينهم لودريك فيورباخ (1804–1872) الذي سمي بأب الإلحاد الحديث، والذي كان بوضوح مصدر النقد الحديث الكلي للدين، تاركا أثره في كل من ماركس وفرويد ونتشيه وآخرون[44]، وفي هذا السياق تقول كارن أرمسترونج "كان الإلحاد تحديدا على جدول الأعمال بحلول القرن 19م [45]، و"كان الملحدون الجدد يهاجمون بعنف المفهوم المحدد لله الذي كان سائدا في الغرب أكثر مما كانوا يهاجمون مفاهيم أخرى عن المقدس"[46] .

---

37) اعتبر Egnac Lepp أن الملحد المثالي ذلك الذي لا يؤمن بأي كائن أو قوة تتجاوز النظام التجريبي،
(the "perfect atheist" would be one who believes in no being or force that transcends the empirical order), atheism in our time, Lepp Ignace, traduction: Bernard Murchland, Macmillan, New York-USA, (1963), p(5)
وبناء على هذه الرؤية يمكن القول أن المنكر لوجود الإله هو في سلم الإلحاد يكون مثاليا أو خالصا لتجاوزه لكل من الربوبي واللاأدري في إلحادهما وجوابهما عن قضية الوجود الإلهي.

38) The sources of modern atheism, Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connel, Paulist press , New York- USA. 1982, p(6)

39) ينظر: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، العبيكان، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، (1431-2010)، ص(396)

40)When atheism becomes religion, Chris Hedges, free press, New York-USA, (2009), p(17)

41) الله والإنسان، كارن أرمسترونج، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، (1996)، ص(297)

42) مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى (2010)، ص(330)

43) المرجع السابق، ص(293)

44(The sources of modern atheism ،Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connel, p(10)

45) مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، ص(345)

46) نفس المرجع، ص(353)

ففي هذا القرن سيقول ماركس أن الدين " زفرة الإنسان المسحوق"، وأفيون الشعوب"، إنه " روح عالم لا قلب له"، وسيصرح فرويد بأن الدين هو "إجراء مسكن" للاستخدام في العالم الذي يقودنا إلى الكثير من الآلام، وخيبات الأمل، والمهام المستحيلة، فالدين هو البلسم الذي يمكننا من الصبر على حياة لا تطاق [47]، وسيعلن مجنون نتشيه " موت الإله"[48]. ليكون هذا الثلاثي الملحد أكثر من غيره حزما في تحليل سبل وجود الإله [49].

وقد وجدت بعض هذه الرؤى الإلحادية في الداروينية أرضية ومرتكزا تبني عليه أفكارها، فمع داروين اكتسبت هذه الرؤى مزيدا من التأكيد والتضخيم[50]، "فأيُّ تصورات لاهوتية ذات علاقة بإدارة العالم الإلهية ومكانة الإنسان الروحية الخاصة تعرضت لاعتراضات بالغة الشراسة مدعومة بالنظريات والشواهد الجديدة"[51]، ومن خلال كتابه " في أصل الأنواع عن طريق الانتقاء الطبيعي، أو بقاء الأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة" الذي نشر سنة **1859**، أصبح الانتقاء الطبيعي آلية تقود وتحدد الحياة، وأضحى العلم الطبيعي فجأة عند البعض "الدين البديل"[52].

وهكذا استطاع الملحدون شرعنة الإلحاد، الذي استهوى الجماهير [53] ولم يعد محصورا في فئة معينة من المفكرين والفلاسفة الذين لهم موقف معاد ضد الدين المسيحي، تقول كارن أرمسترونج " لأول مرة لم يعد عامة الناس ممن لا ينتمون إلى فئة العلماء والفلاسفة الحاملين لمشعل الريادة يجدون غضاضة في المجاهرة بإلحادهم، دون أن ينفقوا الوقت في دراسة الأدلة العلمية والعقلية النافية لوجود الله. فقد أصبح الله عند الكثير من الأوروبيين فكرة لا طائل منها وعبئا لا داعي له"[54]، فبعد هذه الفترة أصبح من الممكن أن نتحدث عن الإلحاد الشعبي «The popular atheism» الذي عرف انتشارا أكثر من أي وقت مضى بين عامة الناس.

لكن بعد توالي الأحداث، وفي القرن الواحد والعشرين، ستنبثق موجة إلحادية جديدة، لا تقل شراسة عن الفلسفة الإلحادية التي صاغها فيورباخ ومن تبعه من دعاة الإلحاد في القرن التاسع عشر، وسيطلق على هذه الموجة اصطلاح الإلحاد الجديد «The New atheism»، الذي ظهر لأول مرة في مجلة "وايرد Wired " في

---

47) The sources of modern atheism ،Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connell, the Missionary society of S.T Paul, New York-USA, (1982), p(20)

48) العلم المرح، فردريك نتشيه، ترجمة: حسان بورقية ومحمد ناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى (1993م)، ص(132)

49) The sources of modern atheism ،Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connell, p(19-20)

50) آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، ص(388)

51) نفسه، ص(388)

52) When atheism becomes religion, Chris Hedges, p(47-48)

53) The sources of modern atheism, Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connell, p(7)

54) مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، (442)

نوفمبر 2006م [55]، وقد كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر دور محوري في تنامي هذه الموجة [56]، فلو أردنا التأريخ للإلحاد بوسمه المعاصر لجاز لنا القول إنه جاء كنتيجة لاصطدام الطائرتين ببرجي التجارة العالمي.

وعليه "ترسخ في وعي كثير من الملاحدة أن قضية الإيمان والتدين باتت مهددا حقيقيا للبشرية، وأن التزام ذلك الهدوء والحيادية من الدين لم يعد خيارا مقبولا، وأنه من المتعين على الملاحدة اليوم السعي جديا في استئصال مبدأ التدين من الحياة البشرية وإحلال قضية الإلحاد كخيار منقذ"[57].

وبإلقاء نظرة على مؤلفات دعاة الإلحاد الجديد وخصوصا فرسان الإلحاد الأربعة [58] سينكشف لنا حجم العداء الذي يكنه الملحدون الجدد للدين، فسام هريس (Sam Harris) سيشرع مباشرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بتأليف كتابه "نهاية الإيمان" مؤكدا أن السبيل الوحيد ليتخلص عالمنا من الإرهاب هو إلغاء الأديان جميعها [59]، وسينشر كذلك" رسالة إلى أمة مسيحية" سنة 2006، ليتوالى التأليف الموجه لنقد الأديان السماوية بشكل رئيسي [60]، فيخرج كريستوف هيتشنز (Christopher Hitchens) بكتاب "الله ليس عظيما... كيف يسمم الدين كل شيء"، ثم كتاب "كسر السحر... الدين كظاهرة طبيعية" لدانييل دينت (Daniel Dennett)، بيد أن كتاب "وهم الإله" للملحد الشهير ريتشارد دوكنز (Richard Dawkins) يمثل "الكتاب الأهم والأشهر للظاهرة الإلحادية الجديدة، كما يمثل مؤلفه الأيقونة الأشهر للإلحاد الجديد"[61]، فقد تربع على عرش الكتب الأكثر مبيعا في مجلة النيويورك تايمز لمدة 51 يوما، وبيعت منه منذ ظهوره سنة 2006 إلى غاية 2010 أكثر من مليون نسخة [62].

والمتفحص لهذه العناوين سيرى أنها جاءت مطرزة بعبارات التخويف والتحذير، حاسمة بذلك موقفها تجاه كل ما هو ديني، لتعبر عن أصولية جديدة يكون الإلحاد شعارها، وقد أجمل روي أبرهام فارجيس الوصف حين قال أن " الكتب تبدو كما لو كانت عظات أصولية، والجزء الأكبر من المؤلفين يبدون كما لو كانوا واعظين يشتاطون غضبا محذرين إيانا من العقاب الأليم، أو حتى نهاية العالم، إن لم نندم على معتقداتنا الضالة والممارسات المرتبطة بها"[63].

---

[55] هناك إله، أنطوني فلو، ترجمة: جنات جمال، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الاسماعيلية-مصر، الطبعة الأولى(2017)، ص (20)

[56] ينظر: ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، ص(21)

[57] نفس المرجع، ص(21)

[58] وصف يطلق على كل من ريتشارد دوكنز، سام هاريس، دانييل دينت، وكريستوفر هيتشنز، وهي عبارة تقابل فرسان الرؤية الأربعة الواردة في سفر رؤيا يوحنا الإصحاح (6)، العدد (1-8)

[59] مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، ص(463)

[60] هناك إله، أنطوني فلو، ترجمة: جنات جمال، ص(20)

[61] ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، ص(25)

[62] ينظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة

[63] هناك إله، أنطوني فلو، ترجمة: جنات جمال، ص(20)

ففي الإلحاد الجديد وفي العصر الحديث للكسمولوجيا، التطور، والجينوم البشري، أصبح السؤال الذي يثير النقاش والجدال في الأوساط الإلحادية هو: "ألا يزال هناك احتمال لتعزيز انسجام مرض بين الرؤية العلمية والروحية للعالم؟"[64]، فهذا الاشكال يضعنا أمام العلم كدافع آخر قوي لمَّع صورة الإلحاد، إنه الفلسفة الوحيدة للملحد[65]، ولغة العلم والعقل كما يقول كريس هيدجز "تستخدم الآن من طرف عدد من الملاحدة للتعبير عن الأشواق القديمة لكمال الإنسان، ووفقا لهم، فإن العقل والعلم بدلا من الدين سيضبطان صراعات الإنسان ويجلبان الجنة"[66].

فزمن الدين انتهى في نظر الملحدين الجدد، وولت الأهمية التي كان يحظى بها، في عصر بات فيه العلم الطبيعي يفسر كل شيء، فهذا هيتشنز يقول" شكرا للتلسكوب والمكروسكوب، فالدين لم يعد يقدم تفسيرا لأي شيء مهم"[67]، فالإله في الرؤية الإلحادية الجديدة كان يلجأ إليه ببساطة لسد الفجوات في العلم، أما الآن، العقيدة [68] الوحيدة للملحد هي العلم، وفرسان الإلحاد الجدد يرون أنفسهم في طليعة حركة عقلانية وعلمية ستتمكن في نهاية المطاف من محو فكرة الله من الوعي البشري [69].

وهكذا لا نتعجب حين يقول ريتشارد دوكنز بأن العلم والدين يخوضان معركة حتى النفس الأخير، وسينتصر أحدهما[70]، فالرؤية العدائية للعلم ودعاته في القرون الوسطى، تنطرح من جديد، لكن بصورة معكوسة يكون العقل فيها عند الملحد المعيار الوحيد للحقيقة، ويضحي كل إيمان ديني في إطار الإلحاد الجديد عدوا للعقلانية، بعدما كانت العقلانية عدوة للكنيسة، فنحن هنا أمام أصولية جديدة لم تنبثق من رحم الأديان، وإنما من جوف الإلحاد، تحمل بين ثناياها تصورا عدائيا وإقصائيا للعقيدة الدينية، وتجلياتها على واقع الإنسانية.

ثالثا: الشباب المسلم والإلحاد (نظرة في بواعث الإلحاد)

لم تكن الفقرات السابقة من هذه الورقة إلا تقديما، وأرضية لموضوع لم يغدو سطحيا ولا هامشيا في الفكر العربي المعاصر، في زمن أضحت فيه التقنية متاحة للجميع، ولم يعد الإلحاد قاصرا على فئة معينة من الفلاسفة والمفكرين، كما لم تبقى القضايا العقائدية الشائكة بين الفرق والمذاهب حبيسة الكتب والدوائر

---

64) Delusion of atheism, David Aikman, library of Tyndal house publishers, Carol stream III, Illinois- USA, (2008), p(63)

65) la religion de l'athée, Jules Sageret, Payot & C^ie, BOULEVARD SAINT-GERMAIN, France,1^er édition, (1922), (96)

66 When atheism becomes religion, Chris Hedges, p(17)

67) Ibidm, p(31)

68) رأى جيليس ساجوري Jules Sageret أن العلم لا يستحق أن يوسم بالفلسفة إلا إذا اعتبرناه عقيدة للنشاط والكائن الكونيين، (La religion de l'athée, p(96-97))، والناظر للحالة الإلحادية المعاصرة يرى أنها تمضي إلى جعل العلم طريق الإنسانية المقدس للمعرفة.

69) مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، ص(459)

70) وهم دوكنز، ليستر إدغار ماكغراث وجوانا كوليكات ماكغراث، ترجمة: محمد عوده، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الأولى (2017م)، ص(47)

المعرفية، فالواقع الافتراضي بات ساحة للنقاش وعرض الأفكار والتداول الثقافي، وغدا مصدرا ومرجعا لدى البعض في تحصيل المعرفة، "فكثير من الشرائح الشبابية بات يتلقى معرفة أفقية سطحية في ملفات متعددة، ويحصِّل عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي جرعات معلوماتية مخففة ومبعثرة، تُخلِّف مع الوقت حالة من الانتفاخ المعرفي الخاوي"[71]، والمعرفة الافتراضية الموهومة.

فما تحدثنا عنه في الإلحاد الجديد وسماته العدائية تجاه الإله والموروث الديني، نجد صداه في مجتمعاتنا العربية، في عالم افتراضي بات واقعا يخرق عقول الشباب، ولعل تنامي الإلحاد بين هذه الفئة في البلاد العربية كما ذهب العديد من المهتمين بالملف الإلحادي جاء عقب ما يسمى بثورات الربيع العربي[72]،وفي تحليل عمرو الشريف لسطوة الفكر الإلحادي على شبابنا يقول: " وقد تزايد هذا المد الإلحادي بعد ما يعرف بثورات الربيع العربي، ويرجع ذلك إلى نجاح الشباب في تحديهم لرموز السلطة في هذه البلاد، وهو ما شجع البعض على تحدي الرمز الأكبر متمثلا في منظومة الألوهية والدين"[73]، فسقوط السلطة بمفهومها الواسع (السلطة المجتمعية، السلطة الدينية...) ، مكن الملحدين من نشر أفكارهم بجرأة[74] غير مسبوقة والجهر بتوجهاتهم الإلحادية.

وبعيدا عن اختلاف الرؤى حول تاريخ تنامي الموجة الإلحادية بصورتها الحالية، يلحظ المتتبع للفكر الإلحادي في الوطن العربي على العموم، أن اللغة الشكوكية والإلحادية بدأت تطفو إلى السطح في السنوات القليلة الماضية ، وتُكَوِّن خطابا له سمته وهويته الخاصة، لكن قبل خوض غمار البحث في الهوية الافتراضية للملحد العربي في وسائل التواصل الاجتماعي، سنبادر بإلقاء نظرة على بعض البواعث التي تقود الشباب إلى الإلحاد ،والتي قسمها البعض إلى شخصية واجتماعية ومعرفية[75]، غير أننا سنمضي لإدراج هذه الدوافع ضمن <u>بواعث داخلية موجّهة</u> نابعة من الفرد ذاته تقوده إلى تقبل الإلحاد كفلسفة حياتية، <u>وبواعث خارجية مؤثرة</u> تنخر في فكر الشباب لتنقلهم من روضة الإيمان إلى خندق الإلحاد.

ويأتي على رأس <u>البواعث الداخلية الموجّهة</u>، ما اصطلح عليه عبد الله الشهري <u>بالقابلية والتأزم</u> [76]، فأما القابلية، فالمقصود بها قابلية الشخص لاحتضان الفكر الإلحادي، وهذا يعني أن نفسية الملحد مهيأة ابتداء للإلحاد، بناء على رؤيته وما يتناسب مع شخصيته وهواه، لذلك رأى عبد الله الشهري أن هذا السبب

---

71) **ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، لندن-بريطانيا، ص(101)**

72) **ينظر: خرافة الإلحاد، عمرو الشريف، ص (28)**

73) **الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو الشريف، نيو بوك، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى (1437هـ-2016م)، ص(333)**

74) **ينظر: مداخلة حسام أبو البخاري في حلقة الإلحاد والملحدين من تقديم عمرو أديب من برنامج القاهرة اليوم**
https://www.youtube.com/watch?v=fkRupdJSkSA

75) **ينظر: الإلحاد للمبتدئين، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الاسماعيلية-مصر، الطبعة الثانية (2015)، ص(33) وما بعدها**

76) **محاضرة عبد الله الشهري في الجلسة الثانية الموسومة بـ" مدخل إلى معالم ومرتكزات الإلحاد الحديث، ضمن ملتقى تهافت الفكر الإلحادي الذي عقد بالرياض سنة 1334هـ/2013م، وقد رفعت فقراته على اليوتوب:**
https://www.youtube.com/watch?v=GQLQJeIXzrY&list=PLesE5BCJseGd83YL0Vj_6t4asf0p_zGFv&index=6

يدخل ضمن الجانب العاطفي الوجداني أكثر من دخوله ضمن الجانب المنطقي الموضوعي، فالإلحاد مثلا يضمن لمن فيه تلك القابلية، الخلاص والانعتاق من التكاليف الشرعية التي تلزمه بها العقيدة الدينية.

أما التأزم فالمقصود به الوقوع في الأزمات والكروب التي تواجه الإنسان، فيكون الخيار الأمثل لمن فيه تلك القابلية، الإلحاد والجحود بالخالق سبحانه، وفي القرآن الكريم تصوير لمثل هذه العقليات، يقول الحق سبحانه: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين [77]﴾.

وينضاف إلى ما تقدم ذكره من بواعث داخلية موجِّهة، **ضعف الحصانة الشرعية**، أو بالأحرى المناعة الدينية، والبناء العقدي المتين الذي يقي الإنسان فتن الشبهات، التي تعج بها وسائل التواصل الاجتماعي، وتحاصر العقل بالشكوك، نتيجة ضعف في تحصيل العلوم الشرعية، والمعرفة الدينية، التي تعد أرضية صلبة، تكسب صاحبها الأسس المنهجية في التعامل مع الشبهات، ومرجعا يحاكِم إليه ما استجد من قضايا عقدية، ولابن تيمية إشارة بديعة في ضرورة التحصيل الشرعي، حيث قال: "فإن معرفة أصول الأشياء ومبادئها، ومعرفة الدين وأصله، وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعا، وإذ المرء ما لم يحط علما بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها بقي في قلبه حسكة"[78]، فمن لا يملك قدرا من العلم الشرعي يسهل اختراقه وتقويض فكره، وسيظل قلبه مفتوحا للشبهات.

فهذه البواعث الداخلية الموجهة للفرد نحو نفق الإلحاد وغيرها، يمكن اعتبارها سببا من أسباب هدم صروح اليقين عند الشباب، وإدخالهم في دوامة الشك العقدي الغير منهجي، الذي يتقوى ليصير إلحادا.

أما **البواعث الخارجية المؤثرة** على هوية الفرد الفكرية والدينية، فيمكن أن نرجعها بداية إلى **سلطة الثقافة الغربية الغالبة**[79]، "فجزء من أسباب انتشار الظاهرة الإلحادية عالميا يعود في حقيقته إلى السياق الثقافي العام الذي نعيش فيه والذي تهيمن عليه للأسف الشديد قيم الحضارة الغربية، بماديتها وعلمانيتها"[80]، كما أن الانبهار بالحضارة المادية في نموذجها الغربي، مقارنة بواقع التخلف الحضاري بكل تجلياته في المجتمعات العربية، ولَّد لدى الشباب الذين لديهم –كما سبقت الإشارة– قابلية للإلحاد مركب النقص، فوجدوا في نزع عباءة الدين السبيل الوحيد للَّحاق بركب التقدم، والناظر في التراث الإسلامي يجد من العلماء من وصف هذه العقلية المقلدة وحلل بواعثها، يقول أبو حامد الغزالي واصفا حال من انبهر بالفلسفة اليونانية الوافدة: "فإني قد رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء، رفضوا وظائف الإسلام من عبادات، واستحقروا شعائر الدين(...)، بل خلعوا كلية الدين (....)،

---

[77] سورة الحج (الآية: 11)

[78] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج10، ص(368)

[79] ينظر: مقدمة سلطة الثقافة الغالبة، إبراهيم السكران، مركز تفكر للدراسات والأبحاث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى (1436هـ-2015م)

[80] ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، ص(102)

وإنما مصدر كفرهم سماعهم بأسماء هائلة، كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وأمثالهم، وإطناب طوائف من متبعيهم في وصف عقولهم(...) وحسن أصولهم، ودقة علومهم (...) وحكايتهم عنهم أنهم مع رزانة عقولهم وفضلهم منكرون للشرائع(...)، فلما قرع ذلك سمعهم، ووافق ما حكى من عقائدهم طبعهم، تجملوا باعتقاد الكفر"[81]، فتجمل الفلاسفة بالكفر عند الغزالي قديما هو تجمل بعض شبابنا بالإلحاد تقليد المغلوب للغالب واتباع الضعيف للقوي حديثا.

وهذا الانبهار يزداد رسوخا مع الثورة المعلوماتية التي يشهدها واقعنا المعاصر، والتي قربت الفكر الإلحادي إلى الشباب، لتنبثق **وسائل التواصل الاجتماعي** كمؤثر خارجي، عكف البعض من خلالها على ترجمة المحتوى الإلحادي في صورته الغربية ونقله عبر هذه الوسائط، إما في صورة فيديوهات أو مقالات أو كتب إلكترونية، ومضى البعض في ضخ الشبهات وتشويه التاريخ الإسلامي، ليسقط من توافرت فيه البواعث الداخلية، ومن لا يملك الأدوات العلمية المنهجية، التي تمكنه من البحث والتنقيب عن أصل تلك الشبه في شباك الإلحاد.

ثم يأتي **الباعث المعرفي** الذي لا يقل أهمية عن الدوافع الأخرى، والمقصود به كما يرى الطيب بو عزة ضعف المكتبة الإسلامية [82] من حيث الكتب المتخصصة في نقد الإلحاد، ومظاهر هذا الضعف تتجلى في ندرة الكتب الناقدة للفلسفات الإلحادية وقلتها من جهة، وعدم تناسب محتواها مع شروط الثقافة الراهنة، فبعضها يحتوي على معطيات معرفية قديمة وبعضها متجاوز قياسا بالتطور الحاصل في المعرفة العلمية والفلسفية المعاصرة، وهذا كما يرى الفيلسوف المغربي طيب بو عزة ليس نقصا في كُتَّابنا وإنما السبب راجع إلى تسارع إيقاع المعرفة [83].

فأمام ضعف المكتبة الإسلامية، وإلحاح الأسئلة الوجودية الكبرى على فكر الشباب، التي تقابل غالبا بالرفض، ينطرح باعث **كبت الأسئلة**، كدافع يضخم الشك في عقلية الشباب، وينحدر بهم إلى الإلحاد، فكبت السؤال[84] قد يعني عند الشباب عجز الإسلام عن دحض الشبهات، والرد على ما أبُهم على الإنسان من مسائل عقدية، فالكبت والصد العنيف لأسئلة الشباب الفكرية والعقدية تولد لديهم شعورا بالغربة الفكرية، وعدم قدرة الوسط الاجتماعي المحيط بهم على سد رمق المعرفة لديهم، والانصات لهمومهم الفكرية، فتبدأ

---

81) تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، ص(73-74)

82) هناك جهود حثيثة الآن وإن كانت قليلة لنقد الإلحاد المعاصر في بنيته العلمية والفلسفة برؤية شرعية، حيث ظهرت في الساحة الفكرية العربية الاسلامية مراكز متخصصة في نقد الفكر الإلحادي الجديد، كمركز براهين الذي يعد أول مركز عربي إسلامي متخصص في نقد الخطاب الإلحادي بمضامينه العلمية والفلسفية وأبعاده التاريخية والأخلاقية، ومركز دلائل، الذي يعسى إلى الإجابة عن الأسئلة العقدية المشكلة لدى الشباب من خلال نشر الكتب والمقالات وغيرهما، ومركز يقين وهو مركز مغربي وليد يهدف إلى مواجهة الخطاب الإلحادي والمذاهب الهدامة.

83) ينظر: مداخلة الطيب بو عزة، في حلقة (الإلحاد)، ضمن برنامج حوارات نماء
https://www.youtube.com/watch?v=qWAD9mAzE1Y

84) ينظر: الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الإسماعيلية-مصر، الطبعة الثانية (2015)، ص(39)

العزلة الفكرية تسلبه من بيئته إلى بيئة إلحادية حاضنة تسقط دوافع ذلك الكبت في زعمها على المنظومة الإسلامية.

وإجمالا لما سبق ذكره، يمكن القول أن إلحاد بعض الشباب في المجتمعات العربية، لا يمكن اعتباره خيارا حرا، بل هو نتاج لبواعث داخلية ذاتية موجهة، وأخرى خارجية مأثرة، تقوده وتسوسه إلى الإلحاد، لتبدأ ملامح هويته الجديدة تتشكل، ومعالم فكره تتجدد بناء على تصوره الكلي (worldview) الجديد الذي غاب فيه الإلهي.

رابعا: الملحدون العرب والعالم الجديد الشجاع

" أيها العالم الجديد الشجاع الذي فيه مثل هؤلاء البشر فلنبدأ"[85]، هكذا كان يصيح بدائي رواية عالم جديد شجاع وهو ينتقل إلى العالم المتحضر الذي غاب فيه الإله وحلت التقنية والعلم كبدائل حضارية جديدة، عالم قطع صلته بالماضي وأعلن بشجاعة استغناءه عن الإله، وتجريديا لا أرى في العالم الافتراضي إلا ذلك العالم الجديد الشجاع، الذي خول للملحدين الشباب على اختلاف توجهاتهم الفكرية والثقافية التعبير عن آرائهم، بلا قيود ولا حدود. فكانت وسائل التواصل الاجتماعي وطنا جديدا مصطنعا للملحدين موازيا للواقع، يعرضون فيه أفكارهم ويروجون لها بين شريحة واسعة من الشباب.

لكن رغم حضور الملحدين العرب القوي نسبيا في وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أنه لا توجد إلى حد الآن دراسة إحصائية مضبوطة عن عددهم في الواقع الملموس، وذلك بسبب الطبيعة المتسترة للإلحاد، الذي يواجه بالرفض في المجتمعات العربية، بل حتى في الديمقراطيات الليبرالية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا، تنبه بعض الملاحظين إلى العلاقة بين الإلحاد والأنترنيت، وافترضوا أن الأمر راجع إلى العداء الذي يواجهه الإلحاد في الحياة العامة[86].فبعدما كان الإلحاد في الواقع كلمة محرمة، يتهامس بها الناس باشمئزاز، وتتسبب في الذهول والتجهم حال ذكرها[87]، أضحى كلمة مقبولة في عالم الملحد الافتراضي.

---

[85] عالم جديد شجاع، ألدوس هكسلي، ترجمة: مر وة سامي، عالم الأدب للترجمة والنسر، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى (2016)، ص(182)

[86] Arab Religious Skeptics Online: Anonymity, Autonomy, and Discourse in a Hostile Environment, Helmi Noman, p(2) ،https://cyber.law.harvard.edu/publications/2015/arab_religious_skeptics_online

[87] Social Media Growing Atheism by the Millions, Rebecca Savastio, (28/10/2013) (بتصرف) http://guardianlv.com/2013/10/social-media-growing-atheism-by-the-millions/

ووسط العدد المتزايد للمواقع والصفحات الإلحادية على وسائل التواصل الاجتماعي، بات النت مصدر معرفة الملحد، ففي استبيان قام به كل من كريستوفر سميث Christopher Smith وريتشارد كيمينو Richard Cimino كشف على أن الانترنيت يساعد الملحدين على تحصيل المعلومة، وإيجاد كُتَّاب كانوا غير معروفين عندهم مسبقا، والولوج إلى الوسائط التي أنشأها المستخدم على المواقع كيوتيوب YouTube منحتهم منصة لاختبار ونقل تصوراتهم [88]، وسهلت عليهم سبل الوصول إلى المواد الإلحادية، مقربة المسافة بينهم.

وهكذا خولت الوسائط الاجتماعية –العالم الجديد الشجاع– للملحدين، إمكانية بناء مجتمع افتراضي له هويته الخاصة، القائمة على انكار المقدس ومهاجمته، وإحداث فضاء للتواصل بينهم، ونشر شبهاتهم وأفكارهم بين الفئة الشبابية القابلة للتأثر، واختلاق احتجاجات افتراضية تهم قضايا الملحد في المجتمع العربي كحرية الإفطار العلني، والحرية الجنسية وغيرها، وبمجرد البحث عن كلمة إلحاد في تلك الوسائل حتى تظهر لك عشرات الصفحات[89] والمجموعات، والقنوات التي تجمع أصحابها تحت مسميات مختلفة، كاللادنيين، والملحدين، والعقلانيين، وغيرها من العبارات التي تحوم حول الإلحاد.

والناظر في صفحات المجتمع الافتراضي الملحد، بتعدد جنسياته، من ملحدين مغاربة، وتونسيين، وسوريين، ولبنانيين ،ومصريين وغيرهم، يجد أن نبرة خطابهم موحدة حول نزع القداسة عن الدين عموما والإسلام على وجه الخصوص، والإعلاء من العلم حد القداسة، كما لا يخلو محتوى صفحاتهم من الاستفزاز والعدوانية ضد الأديان[90]،فمثلا مجموعة العلم يكذب الدين[91]، تجعل عبارة لا قداسة لأي رمز ديني شعارا لها، أما مجموعة اللادينيين المغاربة[92]، فتسعى حسب القائمين عليها إلى رؤية العالم رؤية جديدة تعكس تخلف الأديان وخرافاتها، في حين نجد أن الأهداف المخطوطة على صفحة شبكة الملحدين واللادينيين السوريين[93] ، ترمي إلى بث القيم والمبادئ العلمانية، ونشر الثقافة العلمية والحث على التفكير العلمي، فهذه الصفحات وغيرها، أعطت دفعة قوية للملحد العربي، وضمنت له ملاذا آمنا يروج فيه أفكاره التي ستؤثر لا محالة في فئة من

---

88) Arab Religious Skeptics Online, Helmi Noman, p(2)
https://cyber.law.harvard.edu/publications/2015/arab_religious_skeptics_online

89) في بحث أجراه قسم المتابعة الإعلامية لـ "bbc" عن كلمة "إلحاد" على شبكات التواصل الاجتماعي، تبين أن مئات الصفحات على فييس بوك وحسابات تويتر التابعة "للملحدين" من العالم العربي جذبت آلاف المتابعين لها. ينظر: الإلحاد في العالم العربي: لماذا تخلى البعض عن الدين؟ أحمد نور، 31/08/2016
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2015/08/150831_arab_atheism

90) Arab Religious Skeptics Online, Helmi Noman, p(12)

91) https://www.facebook.com/groups/1403460216469369/

92) https://www.facebook.com/groups/1633158836960704/about/

93) https://www.facebook.com/syatheists.org/?ref=br_rs/about

الشباب، خصوصا إذا علمنا أن الوسائط الاجتماعية حسب مجلة علم الفيزيولوجيا عامل مهم في نشر الأفكار، لأن أدمغتنا ترغب فطريا مشاركة المعلومات مع أناس آخرين[94].

وبعيدا عن الفيس بوك، نرى أن الملحدين استطاعوا صناعة محتوى تشكيكي على اليوتيوب، من خلال عرض المادة الإلحادية بلغة مبسطة تستهوي شريحة واسعة من الشباب، وبعناوين جذابة تساعد على تحقيق نسب مشاهدة عالية، فكُرس بعضها لبث الشبهات حول الإسلام وتزييف تاريخه، بلغة لا تخلو من استهزاء وسخرية، وبعضها الآخر وُجه لترجمة الأفلام الوثائقية الإلحادية [95]، وحوارات فرسان الإلحاد الجديد.

لكن رغم شجاعة الملحد في عالمه الجديد إلا أن هويته تبقى مجهولة، فأغلب الملحدين يروجون لأفكارهم بأسماء مستعارة متكتمين على هويتهم الحقيقية، ليظهروا بأخرى افتراضية، بل إن المتتبع لبعض مشاهير الإلحاد في المجتمعات العربية، خصوصا في منصة الفييس بوك واليوتيوب، يلحظ حرصهم الشديد على إخفاء أسمائهم وهوياتهم الحقيقية، واستبدالها بهوية افتراضية، ككافر مغربي، العربي المقنع، وغيرهما ممن اعتلوا منابر الوسائط الاجتماعية تاركين هوياتهم الحقيقة خارج العالم الافتراضي.

فالظهور باسم مجهول بالنسبة للملحد العربي انعتاق من المسؤولية الشخصية التي يتيحها تحديد الهوية[96]، فهو رغم جرأته في طرح قضاياه وأفكاره يبقى مجهول الهوية، وكما يملك الواقع الافتراضي كما يقول جيل دلوز واقعا كاملا بصفته افتراضيا[97]، فكذلك حال الملحد العربي في العالم الجديد الشجاع، فهو بهويته الافتراضية يملك واقعا كاملا بصفته افتراضيا.

---

[94] Social Media Growing Atheism by the Millions, Rebecca Savastio, (28/10/2013), http://guardianlv.com/2013/10/social-media-growing-atheism-by-the-millions

[95] Arab Religious Skeptics Online, Helmi Noman, p(12)

[96] Ibidm, p(3)

[97] ينظر مقدمة كتاب: الافتراضي ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، بيير ليفي، ترجمة: رياض الكحال، منتدى المعارف، المنامة-البحرين، الطبعة الأولى (2018)، ص(9)

خلاصات ونتائج:

بناء على ما سلف ذكره وتحليله من المعطيات المعرفية والموضوعية عن الإلحاد الجديد كحالة طارئة على المجتمعات العربية الاسلامية، وما واكب تشكله من أحداث تاريخية ساعدت في تنامي حدة خطابه تجاه الدين، يمكن أن نخلص لما يلي:

- ضرورة البحث في المفاهيم والماهيات، فمبنى أي موضوع يتأسس على تصور معناه، لذلك يعتبر المفهوم مقدمة لدراسة سياق أي ظاهرة.
- كشف لنا البحث في ماهية الإلحاد بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، أن الإلحاد بمفهومه المعاصر–إنكار وجود الخالق–لم يرد تناوله بهذا المسمى في تراثنا العقائدي، وإنما جاء تحت مسمى الدهرية.
- مفهوم الإلحاد تراثيا كان يعني إنكار أي أصل من أصول الدين وليس بالضرورة إنكار وجود الله سبحان.
- الإلحاد في حلته الغربية الجديدة هو امتداد، وترديد لصدى الإلحاد في القرن التاسع عشر ميلادي، وإن اختلفت حدته في الخطاب.
- الالحاد الجديد هو انطراح لأصولية جديدة، تقصي الأديان عموما، وتحارب الإسلام بعدائية على وجه الخصوص.
- مساهمة التقنية الحديثة في نشر المادية الإلحادية، أدى إلى توسع دائرة الملحدين على وسائل التواصل الاجتماعي، لتشكل إلحادا شعبيا جماهيريا، مقابل الإلحاد العلمي أو الفلسفي القائم على دراسة أدلة وجود الله تعالى.
- الإلحاد في صورته العربية المعاصرة، جاء نتيجة بواعث داخلية وخارجية، وسعت الهوة بين الشباب العربي وبيئتهم الثقافية، وأدت إلى تضخم الشكوك في عقول الشباب وبالتالي سقوطهم فريسة سهلة لدعاة الإلحاد.
- كوَّن الملحدون العرب، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو العالم الجديد الشجاع، مجتمعا افتراضيا يضمهم، له لغته وهويته الخاصة، وخطابه الذي لا يقل حدية عن الخطاب الإلحادي الجديد.

المصادروالمراجع

n مصادر ومراجع عربية:

- تاج العروس، محمد الزبيدي، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة الكويت، الكويت، (1385هـ-1965م)، باب الدال، ج9
- تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (هـ1427-2006م)
- تفسير السعدي، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: جمال نصر، دار العقيدة، الاسكندرية-مصر، الطبعة الأولى (2007)
- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة العاشرة، (2016م)
- القاموس المحيط، محمد الفيروز آبادي، تحقيق: محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بدون طبعة، (1426 – 2005)، باب اللام
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت-لبنان، (بدون طبعة- بدون تاريخ)، باب الدال، ج3
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الله بن قاسم، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، السعودية، (1425-2004)
- معجم مقاييس اللغة، ابن فراس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م)، باب (اللام والحاء وما يثلثهما)، ج5
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق-سوريا، الطبعة الرابعة، (1430هـ-2009م)
- الافتراضي ما هو؟ وما علاقته بالواقع؟، بيير ليفي، ترجمة: رياض الكحال، منتدى المعارف، المنامة-البحرين، الطبعة الأولى (2018)
- الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الإسماعيلية-مصر، الطبعة الثانية (2015)، سلطة الثقافة الغالبة، إبراهيم السكران، مركز تفكر للدراسات والأبحاث، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى (1436هـ-2015م)
- خرافة الإلحاد، عمرو الشريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، (2014م-1435هـ)،
- عالم جديد شجاع، ألدوس هكسلي، ترجمة: مرة سامي، عالم الأدب للترجمة والنسر، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى (2016)
- العالم من منظور غربي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، (2001)
- الله والإنسان، كارن أرمسترونج، ترجمة: محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق-سوريا، الطبعة الأولى، (1996)،
- مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا؟، كارن آرمسترونج، ترجمة: فاطمة نصر، وهبة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى (2010)
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة-مصر، الطبعة الثالثة، (2000م)
- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمان بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، (1980م)
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ترجمة: تحقيق: علي وجروج، عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (1996م)
- موسوعة مصطلحات الفلسفة، جيرار جيهامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (1998م)، ص(311)
- ميليشيا الإلحاد، عبد الله العجيري، مركز تكوين، لندن-بريطانيا، الطبعة الثانية، (1435هـ-2014م)
- هناك إله، أنطوني فلو، ترجمة: جنات جمال، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الاسماعيلية-مصر، الطبعة الأولى(2017)

n المراجع الأجنبية:

- atheism in our time, Lepp Ignace, traduction: Bernard Murchland, Macmillan, New York-USA, (1963)
- Atheism : a very short introduction, Julian Baggini, Oxford university press, New York-USA, (2003
- Atheism : the case Against God, George H. Smith, Prometheus books, New YORK-USA, 1989

- **Delusion of atheism, David Aikman, library of Tyndal house publishers, Carol stream III, Illinois- USA, (2008)**
- **la religion de l'athée, Jules Sageret, Payot & Cie, BOULEVARD SAINT-GERMAIN, France,1er édition, (1922)**
- **New directions in theology today, Roger L. Shinn, the Westminster press, Philadelphia-USA, vol (7)**
- **The oxford hand book of atheism, Stephen Ballivant, Michael Ruse, , oxford university press , E1ER(2013)**
- **The sources of modern atheism, Marcel Nausch, translated by Matthew J.O Connell, the Missionary society of S.T Paul, New York-USA, (1982)**
- **When atheism becomes religion, Chris Hedges, free press, New York-USA, (2009),**

n ملفات مرئية

- **مداخلة حسام أبو البخاري في حلقة الإلحاد والملحدين من تقديم عمرو أديب من برنامج القاهرة اليوم**
https://www.youtube.com/watch?v=fkRupdJSkSA
- **محاضرة عبد الله الشهري في الجلسة الثانية الموسومة بـ "مدخل إلى معالم ومرتكزات الإلحاد الحديث، ضمن ملتقى تهافت الفكر الإلحادي الذي عقد بالرياض سنة 1334هـ/2013م، وقد رفعت فقراته على اليوتيوب:**
https://www.youtube.com/watch?v=GQLQJeIXzrY&list=PLesE5BCJseGd83YL0Vj_6t4asf0p_zGFv&index=6
- **مداخلة الطيب بو عزة، في حلقة (الإلحاد)، ضمن برنامج حوارات نماء**
https://www.youtube.com/watch?v=qWAD9mAzE1Y

n مقالات إلكترونية

- **Arab Religious Skeptics Online: Anonymity, Autonomy, and Discourse in a Hostile Environment, Helmi Noma https://cyber.law.harvard.edu/publications/2015/arab_religious_skeptics_online**
- **Social Media Growing Atheism by the Millions, Rebecca Savastio, (28/10/2013) http://guardianlv.com/2013/10/social-media-growing-atheism-by-the-millions/**

فهرس الموضوعات

ملخص.....1

مقدمة.....2

أولا: الإلحاد (لمحة تعريفية).....3

1-مفهوم الالحاد في السياق الاسلامي.....3

2-مفهوم الإلحاد في السياق الغربي.....5

ثانيا: الإلحاد الجديد (أصولية جديدة).....7

ثالثا: الشباب المسلم والإلحاد (نظرة في بواعث الإلحاد).....10

رابعا: الملحدون العرب والعالم الجديد الشجاع.....13

خلاصات ونتائج:.....17

المصادر والمراجع.....18

فهرس الموضوعات.....20